قصة مصرية

حسن أغا

بقلم الكاتب المصري الكبير الأستاذ محمود تيمور

كان حسن أغا جالساً في شرفة قصره بمنزله الريفي المهدم يتأهب لتؤدي فريضة العشاء ، فدخل عليه خادمه بخطاب ناوله إياه في صمت . فأخرج حسن أغا نظارته الصدئة من علبتها وركزها على أنفه المكور بعناية وأخذ يقلب الخطاب بين يديه ثم رفع رأسه الأشيب إلى الخادم وقال :

— ممن ؟

فخفض الخادم بصره ولم يجب . وقلب حسن أغا حاجبيه الكثيفين وبدأ يبرطم . ثم مزق الغلاف ونشر أمامه الرسالة وما كاد يقرأ منها بضعة أسطر حتى دمعكها ورماها على الأرض حانقاً . وصاح بالخادم :

— ألم أنبه عليكم جميعاً أن تطردوا هذا الرجل إذا عاد مرة ثانية ؟ ألم أعطه ما فيه الكفاية ؟ ما معنى هذا ؟ . أنه يظن أن خزائني تحلب الذهب والفضة . وأني أملك مال قارون ذلك المنحوس السفيه .

ثم مد يده المرتجفة إلى الأرض والتقط منها الخطاب ونشره أمامه من جديد وقرأ وصوته متموج :

— . . أنا أخوك من دمك ولحمك . أعطني يعطك الله . .

ودمدم الخطاب ثانياً ورماه بعيداً وهو يقول :

— أخي هه . لأنه أخي يريد أن يخربني . يالله من وقح شرير

ثم التفت إلى الخادم وقال :

أقسم بالله أنني لو أعطيته كل ما أمتلك لأتاني في اليوم التالي يطلب المزيد . .

ثم صمت . وبعد برهة عاد إلى الكلام بلهجة أقل غضباً . وهو موجه الكلام للخادم :

— ربنا أغناني وأفقره . الدنيا حظوظ يابني ولا اعتراض على حكم الله :: والآن كفانا لغوا . أريد أن أتوضأ . قرب إلي الطشت . .

وبعد ما انتهى من وضوئه وصلاته جلس جلسة الخشوع على سجادة الصلاة البالية وأخرج من جيبه مسبحته الأثرية وجعل يرتل عليها دعاءه في حرارة وابتهال .

« اللهم يا خالق السموات والأرض . بحق نبيك ورسولك أشرف الخلق إلا ما رزقتني مالا لايبد وأطيانا لاتحصى ولا ترد، وجواهر بددحيات الرمال وخيرات عظيمة كالجبال .

اللهم امنحني رضاءك . وأدخلني جنانك . واجعلني من عبيدك الأغنياء المخلصين . آمين يارب العالمين »

ثم مسح وجهه بيديه وقبل مسبحته عدة مرات ثم أعادها الى جيبه . وقام إلى فراشه وجعل يستعرض في مخيلته قبل نومه تأنقة مصروفه اليومي وهو يقلب ويعيد في الأرقام ويدركه النعاس في بعضها . وظل يفكر في هذا المصروف وفي خطاب أخيه حتى غلبه التعب فنام .

وسمع من غرفته هذيان وأصوات متقطعة تردد هذه الكلمات . أمسكوه . . اقبض . : يريد أن يذبحني . . اقتلوه . .

وفي صباح اليوم التالي دخلت عليه « أم لطيفة » وحيته تحية الصباح. فبادرها بقوله : هل أحضرت معك الفول النابت كما تحدثت عليك أمس .

فابتسمت المرأة بسذاجة وقالت .

— بل أحضرت لك نحيا من الطين غاية في الجودة .

فصاح فيها صيحة منكرة : وهو يقرع بيديه على صدره قائلا :

— نحي لبن ياجنس كلب . تريدين أن تخربي بيتي؟ أتذهبي في الحال بهذا النحي وأعيديه إلى مكانه . ألم أخبرك يا امرأة السوء أني مريض وأريد أن أقصر طعامي طول الأسبوع على الفول النابت ؟

فأجابته المرأة في اطمئنان وهي تكشف له عن وجه النحي المكتظ بالقشدة السميكة يفوح منه عبير يسكر الجالعين :

— هذا نحي جاءك ياسيدي هدية من العمدة .

فتلمظ حسن أغا ورمق النحي في الخفاء بعين جشعة ثم سعل مرتين واسترد هدوءه وقال: يعني لازم تؤذيني بالأكل .

وأخرجت أم لطيفة من تحت طرحتها فطيرتين شهيتين ومدتهما إلى حسن أغا . فنظر إليها مستريبا وقال :

— وما معنى هذا ؟

فتبرتان أحضرتهما لك من مأتم الشيخ رشوان

فتناولها حسن أغا فى صمت ، وجلس متربعا على الأرض أمام نحى اللبن واندفع يأكل بلا حساب . واللبن يسيل على جانبى فمه حتى أتى على النحى جميعه فى طرفة عين .

ومن ثم تكرع وتملى فى غبطة وسرور ولكنه سرعان ما قلب وجهه ونظر الى أم لطيفة حاقداً وسألها :

— لو أرسلناك إلى السوق بهذا النحى قبل أن آكله فكم تبيعينه

— بنصف بريزة ياسيدى .

وأطرق حسن أغا مفكراً ثم هب مهرولا إلى الدوار ومعه النحى الفارغ وأخذ يسأل من يصادفه عن ثمنه . ثم عاد إلى أم لطيفه وهو يزمجر وصاح فيها قائلا :

— لقد أكدت لى الجميع ان ثمن النحى الملآن ستة قروش .

— لا والله أبدا يا قندى لا يساوى أكثر من نصف بريزة فقط .

— اخرسى . نصف بريزة فى عينك وعين أبيك . امرأة لعينة مخبيع . أغربى عن وجهى يا ملعونة .

ثم تركها ودخل حجرته وهو مطأطىء الرأس يفكر فى أنه لو كان أبقى على النحى ولم يأكله وأرسل به أحد عماله مع نفر من الخفراء إلى السوق لاستطاع أن يحصل على ستة قروش من الهواء وأخذ يتمتم قائلا : ألا قاتل الله هذه المعدة النجسة .

وأخيرا داخ المرض حسن أغا فاضطر أن يلازم الفراش . وأعلنوا له يوما فى حذر كبير قدوم أخيه الفقير فاستشاط غيظا فى أول الأمر واندفع يسب ويشتم ولكنه بعد قليل أمر بأدخاله وتقدم الأخ وقبل يد أخيه فى مذلة واسترحام . فألقى عليه حسن أغا نظرة عابرة وهو راقع أحد حاجبيه إلى أعلى . وقال له وكأنه لا يوجه الكلام إليه :

— لقد أتيت لتطمئن على صحتى . أليس كذلك ؟ هه . أشكرك .

ثم التفت إليه بغتة وحملق فيه وقال وهو يلهث وقد تهدل لحم عنقه وارتعش فكه الأسفل :

— ولكنى أؤكد لك أننى سأخرج من مرضى معافى كالأسد . لقد غررتما بك المجونة الملاعين .

فانكب الأخ على يد أخيه يقبلها . نافيا عنه التهمة التى ألصقها به . وجعل يكرر له إخلاصه وعبثه ويدعو له بطول العمر .

فالتفت إليه حسن أغا وقال :

— كثيرا ما طلبت منى أن أعينك فى وظيفة عندى . لقد وجدت لك الوظيفة أخيرا . خمسون جنيها فى الشهر . اذهب واستلم عملك . ثم احمد ربك واشكرنى . .

ومرت بضعة أيام وأحس حسن أغا باشتداد وطأة المرض عليه فاستدعى أخاه وأنهال عليه شتما وإهانة بدعوى إهماله فى العمل . ثم أمر أن يقطع من راتبه عشرة أيام وأن يكلف بعزق الأرض مع الفلاحين .

وكلما اشتد المرض على حسن أغا زاد فى الاساءة إلى أخيه وجعل يتفنن فى إذلاله وتكليفه بأشق الاعمال . ويصرخ فيه دائما مكررا قوله : إنما نطعمكم لوجه الله . لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا . . .

وأخيرا وجد الرجل نفسه يدنو من القبر بخطى سريعة . وداهمه يأس قاتل فأصدر قراره فى الحال بطرد أخيه . وجمع رهطا من الصبايين حول سريره وغمرهم بعطاياه . وكان يقيم معه ليل نهار يستمع لتعاويذهم ويستنشق بخورهم فى شىء من الراحة . وإذا غفا سمعوه يهذي فى صوت المخنوق « تروتى لى وحدى . . لن يرثها أحد بعدى . اطردوا الملعون واضربوه بالنبابيت . »

وأخيرا ظهر فى الدار أحد كبار الحاخامين وجعل يختلى مع حسن أغا الساعات الطوال . وأحيط المنزل بالحرس واكتنفته الأسرار من كل جانب .

ومضت الأيام سراعا . ومات الرجل غير مأسوف عليه من أحد .

وأعلنت وفاته فاذا به يقف جميع ما يملكه من منقول وثابت على الخيرات

وصدرت الجرائد بعد ذلك بأيام وفيها النبذ الضافية ذات العناوين الضخمة تمجد ذكرى حسن أغا وتعدد أفضاله على الانسانية . . . . ! !

محمود تيمور

المرأة الجميلة تسر العين ، ولكن المرأة الفاضلة تسر القلب ، فالأولى جوهرة والثانية كنز ثمين ، ينبغى أن يكون الحب متبعا للسعادة لا مصدراً لشقاء الحب شغل الكسول ، وهو الحارب وعبلة الدمار للملوك . .

الحب الحقيقى هو السعادة المنشودة : ينبغى أن يكون الزواج ثمرة الحب . ولابد من التفاهم بين أفراد الأسرة الواحدة

* * *

إن القواعد الأولى التى يتعلمها الطفل من والديه ، والآداب التى يرضعها مع اللبن تبقى فى نفسه أثرا لا يزول

نابليون